

فيعطف .. ويساعد .

ولكن المأساة قد احدثت -رغم ذلك- شيئاً عميقاً آخر . شيئاً له مغزى انساني كبير . فعزيزة عاملة من عمال الترحيلة ، وعمال الترحيلة ليس بينهم وبين اهل العزبة التي يعملون بها الا صلة العمل ، وهي صلة خشنة قاسية . . هي ببساطة صلة غير انسانية . فعندما يجيء الليل ينطوي عمال الترحيلة على حياتهم ويتعد اهل العزبة عن هؤلاء العمال كأنهم جماعة من الملعونين المنبوذين .

كان بين الفريقين سور عظيم . ولكن مأساة عزيزة هدت هذا السور كأنها تعذبت وماتت لتفتدي الصلة الانسانية بين الفريقين فاختلف اهل العزبة بعمال التراحيل ، وعاد الجميع الى انسانيتهم الطبيعية بلا عقد ولا فواصل اجتماعية مصطنعة ، اختلف النساء بالنساء . ولعب الاطفال مع الاطفال ، وتبادل الرجال من الفريقين الاحاديث والذكريات .

وقد صور يوسف ادريس حركة «ذوبان الجليد» بين عمال الترحيلة واهل العزبة تصويراً عميقاً مليئاً بالمسات الانسانية الذكية ، فهذه نبوية الفقيرة من اهل العزبة تذبج ارنباً وتقدمه لعزيزة اثناء مرضها . وهام الاطفال في العزبة يكتشفون - وما اروع اكتشافات الاطفال - ان اطفال الترحيلة يلعبون مثلهم فيتقاربون ويتحابون .

اليسست هذه هي الحركة الدائمة للمأساة في حياة الناس ؟

ان المأساة ترفع الانسان الى انسانيته الطبيعية وتربط بينه وبين الآخرين برباط عميق من الاخاء والحنان والمساواة ؟ اليس هذا هو ما حدث في مأساة روميو وجوليت . عندما مات شابان صغيران في عمر الورود دفاعاً عن عواطفهما التي اراد لها الاهل ان تحتق ؟ . . . لقد عاد الصفاء الى امرتي روميو وجوليت